الصدق

في الأقوال والأفعال والهمم

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

- **أَمَّا بَعْدُ:**

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

- **أَمَّا بَعْدُ:**

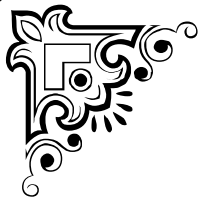

الصِّدْقُ مِنْ صِفَاتِ الْمُؤْمِنِينَ

فَإِنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ- أَمَرَ بِالصِّدْقِ وَحَثَّ عَلَيْهِ، وَنَهَىٰ عَنِ الْكَذِبِ وَحَذَّرَ مِنْهُ، وَالصِّدْقُ مِنْ صِفَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَعَكْسُهُ -وَهُوَ الْكَذِبُ- مِنْ سِمَاتِ الْمُنَافِقِينَ.

قَالَ -تَعَالَىٰ-: ﴿لِّيَجْزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ [الأحزاب:٢٤].

وَقَالَ -تَعَالَىٰ-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩].

وَهَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ نَزَلَتْ بَعْدَ قِصَّةِ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا عَنْ غَزْوَةِ (تَبُوكَ)(١)، وَكَانَ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةُ قَدْ تَخَلَّفُوا عَنِ الْغَزْوَةِ بِلَا عُذْرٍ، فَلَمَّا رَجَعَ الرَّسُولُ ﷺ صَدَقُوهُ؛ فَأَخْبَرُوهُ أَنَّهُمْ تَخَلَّفُوا بِلَا عُذْرٍ؛ فَخَلَّفَهُمْ -أَيْ: تَرَكَهُمْ-، قَالَ -تَعَالَىٰ-: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ﴾ [التوبة:١١٨]؛ أَيْ: تُرِكُوا، فَلَمْ يُبَتَّ فِي شَأْنِهِمْ، وَلَمْ يُحْسَمْ فِي أَمْرِهِمْ؛ لِأَنَّ الْمُنَافِقِينَ لَمَّا قَدِمَ الرَّسُولُ ﷺ مِنْ

(١) حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه رضي الله عنهم في الصحيحين: «**صحيح البخاري**»: (٨/ ١١٣-١١٦، رقم ٤٤١٨)، و«**صحيح مسلم**»: (٤/ ٢١٢٠-٢١٢٩، رقم ٢٧٦٩).

غَزْوَةِ (تَبُوكَ) جَاءُوا إِلَيْهِ يَعْتَذِرُونَ حَالِفِينَ بِاللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ إِنَّهُمْ لَمَعْذُورُونَ، وَفِيهِمْ أَنْزَلَ اللهُ جَلَّوَعَلَا: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌ ۖ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ ۖ فَإِن تَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [التوبة:٩٥-٩٦].

أَمَّا هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةُ فَقَدْ صَدَقُوا الرَّسُولَ ﷺ، وَأَخْبَرُوهُ أَنَّهُمْ لَيْسَ لَهُمْ عُذْرٌ، فَأَرْجَأَهُمُ الرَّسُولُ ﷺ خَمْسِينَ لَيْلَةً ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ﴾ [التوبة: ١١٨].

ثُمَّ أَنْزَلَ اللهُ تَوْبَتَهُ عَلَيْهِمْ، ثُمَّ قَالَ رَبُّنَا جَلَّوَعَلَا بَعْدَ ذَلِكَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة:١١٩]؛ فَأَمَرَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ أَنْ يَتَّقُوا اللهَ، وَأَنْ يَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ، لَا مَعَ الْكَاذِبِينَ.(*).

❀❀❀

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَة: «أَصْحَابُ التِّجَارِبِ الْفَاشِلَةِ!!» - الْجُمُعَةُ ٢ مِنْ ذِي الْقِعْدَةِ ١٤٣٢هـ| ٣٠-٩-٢٠١١م.

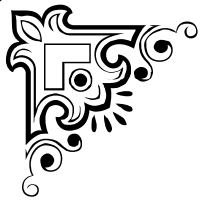

مَعْنَى الصِّدْقِ

الصِّدْقُ: اسْتِوَاءُ السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ.. الصِّدْقُ: اسْتِوَاءُ الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ، بِأَلَّا تُكَذِّبَ أَحْوَالُ الْعَبْدِ أَعْمَالَهُ، وَلَا أَعْمَالُهُ أَحْوَالَهُ.(*).

وَقَالَ الْعَلَّامَةُ الصَّالِحُ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحٍ رَحِمَهُ اللَّهُ(٢): «وَالصِّدْقُ مَعْنَاهُ: مُطَابَقَةُ الْخَبَرِ لِلْوَاقِعِ؛ هَذَا فِي الْأَصْلِ، وَيَكُونُ فِي الْأَخْبَارِ، فَإِذَا أَخْبَرْتَ بِشَيْءٍ وَكَانَ خَبَرُكَ مُطَابِقًا لِلْوَاقِعِ؛ قِيلَ: إِنَّهُ صِدْقٌ، كَأَنْ تَقُولَ عَنْ هَذَا الْيَوْمِ: الْيَوْمَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ؛ فَهَذَا خَبَرٌ صِدْقٌ؛ لِأَنَّ الْيَوْمَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ، وَإِذَا قُلْتَ: الْيَوْمَ يَوْمُ الِاثْنَيْنِ؛ فَهَذَا خَبَرٌ كَذِبٌ.

فَالْخَبَرُ إِنْ طَابَقَ الْوَاقِعَ فَهُوَ صِدْقٌ، وَإِنْ خَالَفَ الْوَاقِعَ فَهُوَ كَذِبٌ، وَكَمَا يَكُونُ الصِّدْقُ فِي الْأَقْوَالِ يَكُونُ الصِّدْقُ -أَيْضًا- فِي الْأَفْعَالِ.

فَالصِّدْقُ فِي الْأَفْعَالِ هُوَ أَنْ يَكُونَ الْإِنْسَانُ بَاطِنُهُ مُوَافِقًا لِظَاهِرِهِ، بِحَيْثُ إِذَا عَمِلَ عَمَلًا يَكُونُ مُوَافِقًا لِمَا فِي قَلْبِهِ، فَالْمُرَائِي -مَثَلًا- لَيْسَ بِصَادِقٍ؛ لِأَنَّهُ يُظْهِرُ لِلنَّاسِ أَنَّهُ مِنَ الْعَابِدِينَ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «مَا أَحْوَجَنَا إِلَىٰ الصِّدْقِ» - الْجُمُعَةُ ٢٠ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ١٤٣٤هـ| ٢٥-١٠-٢٠١٣م.

(٢) «**شرح رياض الصالحين**»: (١/ ٢٨٩-٣١٩)، باختصار وتصرف يسير.

وَالْمُشْرِكُ مَعَ اللهِ لَيْسَ بِصَادِقٍ؛ لِأَنَّهُ يُظْهِرُ أَنَّهُ مُوَحِّدٌ وَلَيْسَ كَذَلِكَ، وَالْمُنَافِقُ لَيْسَ بِصَادِقٍ؛ لِأَنَّهُ يُظْهِرُ الْإِيمَانَ وَلَيْسَ بِمُؤْمِنٍ، وَالْمُبْتَدِعُ لَيْسَ بِصَادِقٍ؛ لِأَنَّهُ يُظْهِرُ الِاتِّبَاعَ لِلرَّسُولِ ﷺ وَلَيْسَ بِمُتَّبِعٍ.

فَالْمُهِمُّ أَنَّ الصِّدْقَ مُطَابَقَةُ الْخَبَرِ لِلْوَاقِعِ، وَهُوَ مِنْ سِمَاتِ الْمُؤْمِنِينَ وَمِنْ صِفَاتِهِمْ، وَعَكْسُهُ الْكَذِبُ، وَهُوَ مِنْ سِمَاتِ الْمُنَافِقِينَ وَمِنْ خِصَالِهِمْ».(*).

❀❀❀

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَة: «أَصْحَابُ التِّجَارِبِ الْفَاشِلَةِ!!» - الْجُمُعَةُ ٢ مِنْ ذِي الْقِعْدَةِ ١٤٣٢هـ| ٣٠-٩-٢٠١١م.

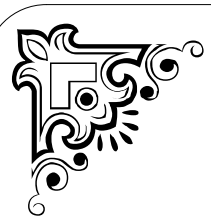

الصِّدْقُ فِي الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ

يَنْبَغِي أَنْ يَتَحَرَّى الْمُسْلِمُ الصِّدْقَ فِي كُلِّ أُمُورِ حَيَاتِهِ، فَيَكُونُ صَادِقًا فِي أَقْوَالِهِ، فَلَا يَقُولُ إِلَّا حَقًّا، قَالَ اللهُ -تَعَالَىٰ-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا! خَافُوا عِقَابَ اللهِ إِذَا عَصَيْتُمُوهُ، وَقُولُوا قَوْلًا صَوَابًا قَاصِدًا إِلَىٰ الْحَقِّ وَالسَّدَادِ؛ يَتَقَبَّلِ اللهُ حَسَنَاتِكُمْ، وَيَمْحُ ذُنُوبَكُمْ.

وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ظَفِرَ بِالْخَيْرِ الْعَظِيمِ بِالنَّجَاةِ مِنَ النَّارِ وَدُخُولِ الْجَنَّةِ.(*).

وَكَمَا يَكُونُ الصِّدْقُ فِي الْأَقْوَالِ يَكُونُ -أَيْضًا- فِي الْأَفْعَالِ، وَذَلِكَ بِامْتِثَالِ الْأَمْرِ وَاجْتِنَابِ النَّهْيِ، وَتَحَرِّي الْحَلَالِ وَالْبُعْدِ عَنِ الْحَرَامِ، وَالْوَفَاءِ بِالْعُهُودِ، وَتَأْدِيَةِ الْأَمَانَاتِ، قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ﴾ [المائدة: ١].

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَة: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» - [الأحزاب: ٧٠-٧١].

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ صَدَّقُوا اللهَ وَاتَّبَعُوا رَسُولَهُ! نَفِّذُوا ارْتِبَاطَاتِكُمُ الَّتِي عَقَدْتُمُوهَا مَعَ رَبِّكُمْ بِسَبَبِ إِيمَانِكُمْ، وَالْعُقُودَ الَّتِي عَقَدْتُمُوهَا مَعَ أَنْفُسِكُمْ بِسَبَبِ حَلِفِكُمْ وَنَذْرِكُمْ عَلَىٰ أَلَّا تَفْعَلُوا فِعْلًا أَوْ تَكُفُّوا عَنْ فِعْلٍ، وَالْعُقُودَ الَّتِي عَقَدَهَا بَعْضُكُمْ مَعَ بَعْضٍ بِإِرَادَتِهِ وَاخْتِيَارِهِ؛ مِن بَيْعٍ، وَإِجَارَةٍ، وَرَهْنٍ، وَشَرِكَةٍ، وَمُضَارَبَةٍ، وَزَوَاجٍ وَنَحْوِهَا، فَالْتَزِمُوا بِهَا، وَبِالْعُقُودِ الَّتِي تَعْقِدُهَا الدَّوْلَةُ الْمُسْلِمَةُ مَعَ غَيْرِهَا مِنَ الدُّوَلِ فِي السِّلْمِ وَالْحَرْبِ.(*).

قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾ [النساء: ٥٨].

قَالَ الْعَلَّامَةُ السَّعْدِيُّ رَحِمَهُ اللهُ(٢): «الْأَمَانَاتُ: كُلُّ مَا اؤْتُمِنَ عَلَيْهِ الْإِنْسَانُ، وَأُمِرَ بِالْقِيَامِ بِهِ، فَأَمَرَ اللهُ عِبَادَهُ بِأَدَائِهَا؛ أَيْ: كَامِلَةً مُوَفَّرَةً، لَا مَنْقُوصَةً وَلَا مَبْخُوسَةً، وَلَا مَمْطُولًا بِهَا، وَيَدْخُلُ فِي ذَلِكَ أَمَانَاتُ الْوِلَايَاتِ وَالْأَمْوَالِ وَالْأَسْرَارِ، وَالْمَأْمُورَاتُ الَّتِي لَا يَطَّلِعُ عَلَيْهَا إِلَّا اللهُ».(*/٢).

وَحَذَّرَنَا نَبِيُّنَا ﷺ **مِنْ نَقْضِ الْعَهْدِ، وَخِيَانَةِ الْأَمَانَاتِ، وَجَعَلَهَا مِنْ صِفَاتِ الْمُنَافِقِينَ؛ فَمِنَ الْخِيَانَةِ: نَقْضُ الْعَهْدِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ:** ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوۡمٍ خِيَانَةٗ فَٱنۢبِذۡ إِلَيۡهِمۡ عَلَىٰ سَوَآءٍۚ﴾ [الأنفال: ٥٨].(*/٣).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَة: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» - [المائدة: ١].

(٢) «**تيسير الكريم الرحمن**»: (ص ١٨٣).

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَة: «مِصْرُ وَخِيَانَةُ الْأَمَانَةِ» - الْجُمُعَةُ ١٨ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٣٦هـ| ٥- ٦ -٢٠١٥م.

(*/ ٣) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطبَة: «مِصْرُ وَخِيَانَةُ الْأَمَانَةِ» - الْجُمُعَةُ ١٨ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٣٦هـ| ٥- ٦- ٢٠١٥م.

وَيَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ -كَمَا فِي «الصَّحِيحَيْنِ»[١] مِنْ رِوَايَةِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-: «**أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّىٰ يَدَعَهَا: إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ**».

فَهَذِهِ صِفَاتُ الْمُنَافِقِينَ، وَهُوَ النِّفَاقُ الْعَمَلِيُّ؛ مَنْ أَتَىٰ بِهَذِهِ الْخِصَالِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْ هَذِهِ الْخِصَالِ؛ فَفِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّىٰ يَدَعَهَا، حَتَّىٰ يَتَخَلَّصَ مِنْهَا بِتَوْبَةٍ نَصُوحٍ.

«**إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ**»؛ وَذَلِكَ يَتَمَثَّلُ بِجَحْدِ مَا عَلَيْهِ، وَبِادِّعَاءِ مَا لَيْسَ لَهُ؛ فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَهُوَ خَائِنٌ.. خَانَ الْأَمَانَةَ، يَدَّعِي مَا لَيْسَ لَهُ، وَيَجْحَدُ مَا عَلَيْهِ.

«**وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ**»: فَلَا ذِمَّةَ لَهُ تَقُومُ، وَإِنَّمَا هُوَ الْغَدْرُ عِنْدَ الْعَهْدِ، وَالنَّقْضُ لِلْوَعْدِ، وَعَدَمُ الْوَفَاءِ بِمَا وَعَدَ؛ لِأَنَّهُ قَدِ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِ النِّفَاقُ بِخَصْلَتِهِ.(*).

وَالنِّفَاقُ إِنَّمَا هُوَ مِنْ عَمَلِ النُّفُوسِ الْمَرِيضَةِ وَالْقُلُوبِ السَّقِيمَةِ، لَا تَجِدُ الرَّجُلَ صَاحِبَ الْمُرُوءَةِ يُنَافِقُ أَبَدًا!!(*/٢).

❀❀❀

(١) «صَحِيح الْبُخَارِيّ» (رَقْم ٣٤ و٢٤٥٩ و٣١٧٨)، و«صَحِيح مُسْلِم» (رَقْم ٥٨)، وفي رِوَايَة لهما: «**وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ**» بدلا من: «**إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ**».

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا!!» - ١٨ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٣١هـ| ٣٠-٧-٢٠١٠م.

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ مُحَاضَرَةٍ بِعُنْوَان: «صِفَاتُ الْمُنَافِقِينَ وَخَطَرُهُمْ» - الِاثْنَيْن ٢٦ مِنْ ذِي الْقِعْدَةِ ١٤٢٩هـ| ٢٤-١١-٢٠٠٨م.

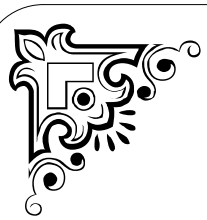

الصِّدْقُ مَنْجَاةٌ

عِبَادَ اللهِ! إِنَّ الصِّدْقَ مَنْجَاةٌ، وَالْكَذِبَ مَهْوَاةٌ؛ فَتَحَرُّوا الصِّدْقَ وَإِنْ رَأَيْتُمْ أَنَّ فِيهِ الْهَلَكَةَ؛ فَإِنَّ فِيهِ النَّجَاةَ، وَاجْتَنِبُوا الْكَذِبَ وَإِنْ رَأَيْتُمْ أَنَّ فِيهِ النَّجَاةَ؛ فَإِنَّ فِيهِ الْهَلَكَةَ، لَقَدْ أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَصْحَابَهُ بِالتَّجَهُّزِ لِغَزْوَةِ (تَبُوكَ) -وَهِيَ غَزْوَةُ (الْعُسْرَةِ)- فِي أَشَدِّ مَا يَكُونُ النَّاسُ فِي الْحَرِّ، وَأَطْيَبِ مَا يَكُونُ النَّاسُ لَوْ بَقُوا فِي دِيَارِهِمْ؛ فَالْوَقْتُ وَقْتُ قَيْظٍ يَشْوِي الْجُلُودَ، وَالْوَقْتُ وَقْتُ طِيبِ الثِّمَارِ وَحُسْنِ الظِّلَالِ.

فَتَخَلَّفَ الْمُنَافِقُونَ، وَتَخَلَّفَ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الصَّادِقِينَ، وَهُمْ: كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ، وَمُرَارَةُ بْنُ الرَّبِيعِ، وَهِلَالُ بْنُ أُمَيَّةَ، تَخَلَّفُوا؛ فَخُلِّفُوا؛ أَيْ: خَلَّفَ الرَّسُولُ ﷺ الْبَتَّ فِي أَمْرِهِمْ حَتَّىٰ يَنْظُرَ مَا يَكُونُ حُكْمُ اللهِ -تَعَالَىٰ- فِيهِمْ.

خُلِّفُوا خَمْسِينَ لَيْلَةً ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [التوبة:١١٨]، ثُمَّ قَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩].

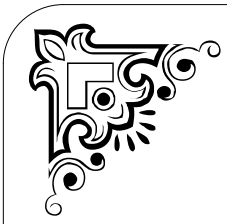

الصِّدْقُ طَرِيقُ الْجَنَّةِ

فِي «الصَّحِيحَيْنِ»(١) مِنْ رِوَايَةِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَىٰ الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَىٰ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّىٰ يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا، وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَىٰ الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَىٰ النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّىٰ يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا»**.

«**عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ**»؛ أَيِ: الْزَمُوا الصِّدْقَ وَلَا تُفَارِقُوهُ.

وَالصِّدْقُ: مُطَابَقَةُ الْخَبَرِ لِلْوَاقِعِ، وَالْخَبَرُ يَكُونُ بِاللِّسَانِ وَيَكُونُ بِالْأَرْكَانِ؛ فَأَمَّا اللِّسَانُ: فَهُوَ الْقَوْلُ، وَأَمَّا الْأَرْكَانُ: فَهُوَ الْفِعْلُ؛ فَقَدْ يَكُونُ الْكَذِبُ بِالْفِعْلِ: إِذَا فَعَلَ الْإِنْسَانُ خِلَافَ مَا يُبْطِنُ؛ فَهَذَا كَذَبَ بِفِعْلِهِ.

---

(١) «صحيح البخاري»: (١٠/ ٥٠٧، رقم ٦٠٩٤)، و«صحيح مسلم»: (٤/ ٢٠١٢-٢٠١٣، رقم ٢٦٠٧).

وفي رواية لمسلم: «**عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَىٰ الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَىٰ الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّىٰ الصِّدْقَ حَتَّىٰ يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَىٰ الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَىٰ النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّىٰ الْكَذِبَ حَتَّىٰ يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا**».

فَالصِّدْقُ: صِدْقُ الْبَاطِنِ.. صِدْقُ الظَّاهِرِ مُوَاطِئًا لِصِدْقِ الْبَاطِنِ.

وَالْكَذِبُ كَمَا يَكُونُ بِالْمَقَالِ يَكُونُ بِالْفَعَالِ، فَإِذَا أَظْهَرَ الْإِنْسَانُ مَا لَيْسَ بِمُضْمِرٍ لَهُ؛ فَهُوَ كَاذِبٌ.

وَإِذَا لَمْ يُوَاطِئِ الْعَمَلُ مَا فِي الْقَلْبِ فَهَذَا كَذِبٌ؛ لِأَنَّ الصِّدْقَ مُطَابَقَةُ الْخَبَرِ وَالْفِعْلِ لِلْوَاقِعِ، فَمَتَىٰ طَابَقَ الْخَبَرُ الْوَاقِعَ فَهُوَ صِدْقٌ -هَذَا بِاللِّسَانِ-، وَمَتَىٰ طَابَقَتْ أَعْمَالُ الْجَوَارِحِ مَا فِي الْقَلْبِ فَهَذَا صِدْقٌ بِالْأَفْعَالِ.

«**وَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَىٰ الْبِرِّ**»: وَالْبِرُّ: كَلِمَةٌ جَامِعَةٌ لِكُلِّ خَيْرٍ، وَمِنْ أَسْمَاءِ اللهِ جَلَّوَعَلَا: الْبَرُّ؛ أَيْ: كَثِيرُ الْخَيْرِ وَالْإِحْسَانِ ﷻ.

وَصَاحِبُ الْبِرِّ يَهْدِيهِ بِرُّهُ إِلَىٰ الْجَنَّةِ، وَالْجَنَّةُ غَايَةُ كُلِّ طَالِبٍ.

«**وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّىٰ يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا**»، وَفِي رِوَايَةٍ: «**وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّىٰ الصِّدْقَ حَتَّىٰ يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا**».

وَالصِّدِّيقُ فِي الْمَرْتَبَةِ الثَّانِيَةِ مِنَ الْخَلْقِ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ، كَمَا قَالَ جَلَّوَعَلَا: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾ [النساء: ٦٩].

الصِّدِّيقِيَّةُ تَكُونُ فِي الرِّجَالِ، وَتَكُونُ فِي النِّسَاءِ، قَالَ جَلَّوَعَلَا: ﴿مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُۖ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ﴾ [المائدة: ٧٥].

وَأَفْضَلُ الصِّدِّيقِينَ عَلَىٰ الْإِطْلَاقِ: أَصْدَقُهُمْ، وَهُوَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه.

«**وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ؛ فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَىٰ الْفُجُورِ**»: إِذَا كَذَبَ الرَّجُلُ؛ أَخَذَ كَذِبُهُ بِقَلْبِهِ إِلَىٰ الْفُجُورِ، «**وَمَا يَزَالُ يَتَحَرَّىٰ الْكَذِبَ حَتَّىٰ يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا**».

وَالْفُجُورُ: الْخُرُوجُ مِنْ طَاعَةِ اللهِ ﷻ؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ يَفْسُقُ وَيَتَعَدَّىٰ طَوْرَهُ، وَيَخْرُجُ عَنْ طَاعَةِ اللهِ إِلَىٰ مَعْصِيَتِهِ.

وَأَعْظَمُ الْفُجُورِ: الْكُفْرُ؛ فَإِنَّ الْكَفَرَةَ فَجَرَةٌ، كَمَا قَالَ اللهُ جَلَّوَعَلَا: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ﴾ [عبس: ٤٢].

عَرَّفَهُمُ اللهُ تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ بِذَلِكَ، وَأَتَىٰ بِالضَّمِيرِ وَالْجُمْلَةِ الْمُعَرَّفَةِ الطَّرَفَيْنِ؛ لِيَدُلَّ عَلَىٰ انْحِصَارِ الْفُجُورِ فِيهِمْ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ﴾، وَقَالَ جَلَّوَعَلَا: ﴿وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾ [الانفطار: ١٤].

«**وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ** -وَفِي رِوَايَةٍ: **وَيَتَحَرَّىٰ الْكَذِبَ- حَتَّىٰ يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا**».

وَمِنْ أَعْظَمِ الْكَذِبِ: مَا يَفْعَلُهُ النَّاسُ الْيَوْمَ مِنَ الْإِتْيَانِ بِالْمَقَالَاتِ الْكَاذِبَةِ؛ مِنْ أَجْلِ أَنْ يُضْحِكَ النَّاسَ!!

فِي حَدِيثِ مُعَاوِيَةَ بْنِ حَيْدَةَ رضي الله عنه، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «**وَيْلٌ لِمَنْ حَدَّثَ فَكَذَبَ لِيُضْحِكَ بِهِ الْقَوْمَ، وَيْلٌ لَهُ! ثُمَّ وَيْلٌ لَهُ!**»(١). أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ، وَأَبُو دَاوُدَ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ.

---

(١) أخرجه أبو داود في «**السنن**»: ٤/ ٢٩٧-٢٩٨، رقم (٤٩٩٠)، والترمذي في «**الجامع**»: ٤/ ٥٥٧، رقم (٢٣١٥)، من حديث: معاوية بن حيدة رضي الله عنه.
قال الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ»، والحديث حسنه أيضا الألباني في «**صحيح الترغيب والترهيب**»: ٣/ ١٢٧، رقم (٢٩٤٤).

وَمِنْ أَشَدِّ الْكَذِبِ: الْيَمِينُ الْغَمُوسُ الَّتِي تَغْمِسُ صَاحِبَهَا فِي الْإِثْمِ، ثُمَّ تَغْمِسُ صَاحِبَهَا فِي النَّارِ؛ فَفِي «الصَّحِيحَيْنِ» عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ حَلَفَ عَلَىٰ يَمِينِ صَبْرٍ هُوَ فِيهَا فَاجِرٌ يَقْتَطِعُ بِهَا مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ؛ لَقِيَ اللهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ**»(١).

وَعِنْدَ مُسْلِمٍ(٢) مِنْ رِوَايَةِ أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنِ اقْتَطَعَ** -أَيْ: أَخَذَ- **حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ؛ فَقَدْ أَوْجَبَ اللهُ لَهُ النَّارَ، وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ**».

فَقَالَ رَجُلٌ: «وَإِنْ كَانَ شَيْئًا يَسِيرًا يَا رَسُولَ اللهِ؟».

فَقَالَ: «**وَإِنْ قَضِيبًا مِنْ أَرَاكٍ**».

إِذَا «**اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ**»؛ أَيْ: أَخَذَهُ بِيَمِينٍ غَمُوسٍ فَاجِرَةٍ، فَأَخَذَ مَا لَيْسَ لَهُ بِحَقٍّ وَلَوْ كَانَ شَيْئًا يَسِيرًا، وَلَوْ كَانَ قَضِيبًا مِنْ أَرَاكٍ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَوْجَبَ اللهُ لَهُ النَّارَ، وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ**».

❀❀❀

(١) أخرجه البخاري: (٥/ ٣٣، رقم ٢٣٥٦)، ومسلم: (١/ ١٢٢-١٢٣، رقم ١٣٨)، من حديث: ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (١٣٧)، وَالنَّسَائِيُّ (٥٤١٩) مِنْ طَرِيقِ مَعْبَدِ بْنِ كَعْبٍ.
وَأَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَهْ (٢٣٢٤) مِنْ طَرِيقِ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ، كِلَاهُمَا عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ كَعْبٍ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ:... الْحَدِيثَ.

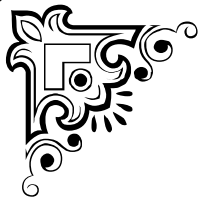

الصِّدْقُ طُمَأْنِينَةٌ وَالْكَذِبُ رِيبَةٌ

الصِّدْقُ طُمَأْنِينَةٌ؛ فَعَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ: «**دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَىٰ مَا لَا يَرِيبُكَ؛ فَإِنَّ الصِّدْقَ طُمَأْنِينَةٌ، وَالْكَذِبَ رِيبَةٌ**»(١). أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ، وَهُوَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

الصِّدْقُ طُمَأْنِينَةٌ، يَطْمَئِنُّ بِهِ الْقَلْبُ، وَتَطْمَئِنُّ بِهِ النَّفْسُ، وَيَطْمَئِنُّ بِهِ الْمَرْءُ فِي حَرَكَةِ حَيَاتِهِ.

وَأَمَّا الْكَذِبُ؛ فَرِيبَةٌ، وَقَلَقٌ، وَتَلَدُّدٌ عَلَىٰ مِثْلِ الْجَمْرِ؛ لِأَنَّهُ يَهْدِي إِلَىٰ الْفُجُورِ، وَلِأَنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَىٰ النَّارِ -وَالْعِيَاذُ بِاللهِ-.(*).

❀❀❀

(١) أخرجه الترمذي: (٤/ ٦٦٨، رقم ٢٥١٨)، والنسائي: (٨/ ٣٢٧، رقم ٥٧١١).
قال الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ»، وكذا صححه أيضا الألباني في «**إرواء الغليل**»: (١/ ٤٤، رقم ١٢)، وروي عن ابن عمر وأنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، بنحوه.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَة: «أَصْحَابُ التِّجَارِبِ الْفَاشِلَةِ!!» - الْجُمُعَةُ ٢ مِنْ ذِي الْقِعْدَةِ ١٤٣٢هـ| ٣٠-٩-٢٠١١م.

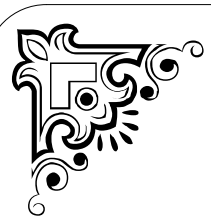

الصِّدْقُ مِنْ دَعَائِمِ دَعْوَةِ الرَّسُولِ ﷺ

إِنَّ الصِّدْقَ مِنَ الْقِيَمِ النَّبِيلَةِ وَالْأَخْلَاقِ الْفَاضِلَةِ الَّتِي دَعَتْ إِلَيْهَا شَرِيعَةُ الْإِسْلَامِ، وَقَدْ جَاءَ رَسُولُنَا ﷺ بِالصِّدْقِ، وَجَعَلَهُ سُلُوكًا يَتَعَايَشُ بِهِ النَّاسُ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الزمر: ٣٣-٤٥].

وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ هُوَ مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَكُونَ صَادِقًا دَائِمًا؛ فَإِذَنْ.. هُوَ مِنْ شَأْنِهِ الصِّدْقُ فِي قَوْلِهِ وَعَمَلِهِ وَحَالِهِ.(*).

فِي «الصَّحِيحَيْنِ» عَنْ أَبِي سُفْيَانَ رضي الله عنه فِي حَدِيثِهِ الطَّوِيلِ فِي قِصَّةِ هِرَقْلَ، قَالَ هِرَقْلُ: «فَمَاذَا يَأْمُرُكُمْ؟» يَعْنِي: النَّبِيَّ ﷺ.

قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: قُلْتُ: يَقُولُ ﷺ: «**اعْبُدُوا اللهَ وَحْدَهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَاتْرُكُوا مَا يَقُولُ آبَاؤُكُمْ، وَيَأْمُرُنَا بِالصَّلَاةِ، وَالصِّدْقِ، وَالْعَفَافِ، وَالصِّلَةِ**»(٢).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «مَا أَحْوَجَنَا إِلَىٰ الصِّدْقِ» - الْجُمُعَةُ ٢٠ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ١٤٣٤هـ| ٢٥-١٠-٢٠١٣م.

(٢) هذا اللفظ تفرد به البخاري: (١/ ٣٢، رقم ٧)، من حديث: ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما.
=

كَانَ هَذَا مَعْلُومًا مِنْ دَعْوَةِ الرَّسُولِ ﷺ، وَكَيْفَ لَا يَكُونُ مَعْلُومًا وَهُوَ بِوَاقِعِ حَالِهِ وَمَقَالِهِ ﷺ أَمِينٌ مَأْمُونٌ؛ حَتَّىٰ إِنَّ ذَلِكَ كَانَ مِنْ وَصْفِهِ عِنْدَ الْقَوْمِ وَإِنْ خَالَفُوهُ، وَإِنْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَ بِهِ؛ إِلَّا إِنَّهُمْ إِذَا كَانَ عِنْدَهُمْ مَا يَعِزُّ عَلَيْهِمْ فَقْدُهُ، وَمَا يَحْرِصُونَ عَلَىٰ بَقَائِهِ؛ لَا يَجِدُونَ سِوَىٰ الرَّسُولِ ﷺ يَأْتَمِنُونَهُ عَلَيْهِ؛ إِذْ هُوَ الصَّادِقُ الْأَمِينُ ﷺ.

صِدْقٌ وَأَمَانَةٌ فِي الْحَالِ وَالْفِعَالِ، وَكَذَلِكَ فِي الْمَقَالِ ﷺ.

ثُمَّ جَاءَ الصَّادِقُ الْأَمِينُ ﷺ بِالْأَمَانَةِ الَّتِي حُمِّلَهَا، وَكُلِّفَ بِأَدَائِهَا، فَأَتَىٰ بِهَذِهِ الرِّسَالَةِ، فَأَدَّاهَا عَلَىٰ أَصْدَقِ وَجْهٍ وَأَحْسَنِهِ، وَأَمَرَ ﷺ النَّاسَ بِالصَّلَاةِ وَالصِّدْقِ وَالْعَفَافِ وَالصِّلَةِ.

فَأَمَرَ بِالصِّدْقِ فِي أَوَّلِ مَا أَمَرَ ﷺ؛ لِأَنَّ الْحَيَاةَ لَا تَسْتَقِيمُ مَعَ الْكَذِبِ.

وَالنَّبِيُّ ﷺ كَانَ لَا يَقْبَلُ كَذِبًا أَبَدًا ﷺ، وَكَانَ إِذَا كَذَبَ وَاحِدٌ مِمَّنْ يَكُونُ حَوْلَهُ ﷺ فِي شَيْءٍ؛ أَعْرَضَ عَنْهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّىٰ يُحْدِثَ للهِ تَوْبَةً.

❀❀❀

=

وهو في الصحيحين: «**صحيح البخاري**»: (٨/ ٢١٤-٢١٥، رقم ٤٥٥٣)، و«**صحيح مسلم**»: (٣/ ١٣٩٣ - ١٣٩٦، رقم ١٧٧٣)، بلفظ: أَنَّ هِرَقْلَ قَالَ لِأَبِي سُفْيَانَ: بِمَ يَأْمُرُكُمْ؟ قَالَ: قُلْتُ: «**يَأْمُرُنَا بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّلَةِ وَالعَفَافِ**»، قَالَ: إِنْ يَكُ مَا تَقُولُ فِيهِ حَقًّا، فَإِنَّهُ نَبِيٌّ،... الحديث.

وفي رواية للبخاري: (٦/ ١١٠، رقم ٢٩٤٠)، بلفظ: «**يَأْمُرُنَا أَنْ نَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ لَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَيَنْهَانَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا، وَيَأْمُرُنَا بِالصَّلَاةِ، وَالصَّدَقَةِ، وَالعَفَافِ، وَالوَفَاءِ بِالعَهْدِ، وَأَدَاءِ الأَمَانَةِ**».

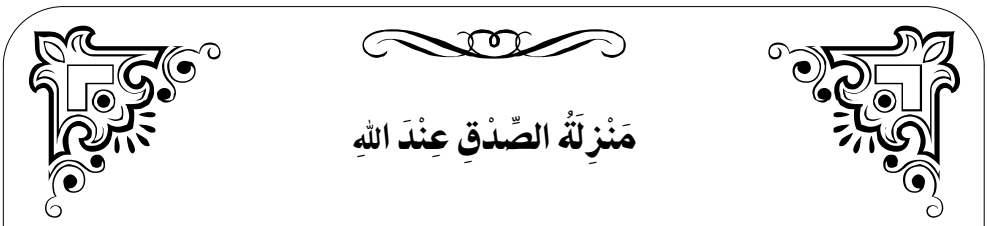

مَنْزِلَةُ الصِّدْقِ عِنْدَ اللهِ

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِيمَا رَوَىٰ عَنْهُ سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ رضي الله عنه، وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ»(١): «**مَنْ سَأَلَ اللهَ -تَعَالَىٰ- الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ؛ بَلَّغَهُ اللهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ وَإِنْ مَاتَ عَلَىٰ فِرَاشِهِ**».

فَهَذِهِ مَنْزِلَةُ الصِّدْقِ عِنْدَ اللهِ.

«**مَنْ سَأَلَ اللهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ**»: فَصَدَقَ قَلْبُهُ فِي الطَّلَبِ، وَسَأَلَ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ صَادِقًا أَنْ يَرْزُقَهُ الشَّهَادَةَ، وَلَمْ يُقَدِّرِ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ لَهُ أَنْ يَكُونَ مُجَاهِدًا بِسَيْفِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ؛ فَإِنَّهُ -وَلَوْ مَاتَ عَلَىٰ فِرَاشِهِ- يُبَلِّغُهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ، وَهَذَا مِنْ أَكْرَمِ عَطَاءٍ يَكُونُ؛ جَزَاءً وِفَاقًا لِمَنْ أَتَىٰ بِالصِّدْقِ بَاطِنًا، فَاسْتَقَامَتْ بِهِ حَيَاتُهُ؛ لِأَنَّ الْحَيَاةَ لَا تَسْتَقِيمُ إِلَّا عَلَىٰ الصِّدْقِ، وَلَا تَصْلُحُ الْحَيَاةُ مَعَ الْكَذِبِ؛ «**فَإِنَّ الصِّدْقَ طُمَأْنِينَةٌ، وَالْكَذِبَ رِيبَةٌ**».

وَالْحَيَاةُ إِذَا بُنِيَتْ عَلَىٰ الشَّكِّ وَالرِّيَبِ؛ فَإِنَّهَا لَا تَسْتَقِيمُ بِحَالٍ، وَإِنَّمَا تَسْتَقِيمُ الْحَيَاةُ عَلَىٰ الصِّدْقِ، عَلَىٰ الطُّمَأْنِينَةِ، عَلَىٰ الِاسْتِقْرَارِ -فَاللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنَ الصَّادِقِينَ-.

---

(١) «**صحيح مسلم**»: (٣/ ١٥١٧، رقم ١٩٠٩)، من حديث: سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ رضي الله عنه.

وَلِذَلِكَ قَالَ الْعَلَّامَةُ ابْنُ بَازٍ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ-: «إِنَّ الْحَيَاةَ فِي سَبِيلِ اللهِ أَصْعَبُ مِنَ الْمَوْتِ فِي سَبِيلِهِ».

«إِنَّ الْحَيَاةَ فِي سَبِيلِ اللهِ أَصْعَبُ مِنَ الْمَوْتِ فِي سَبِيلِ اللهِ»؛ لِأَنَّ الْمَرْءَ إِذَا جَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللهِ جَلَّوَعَلَا بِسَيْفِهِ، وَرُزِقَ هِمَّةً عَالِيَةً، وَآتَاهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ عَزِيمَةً وَثَّابَةً؛ فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ يُجَالِدَ فِي سَبِيلِ اللهِ سَاعَةً حَتَّىٰ يَمْضِيَ إِلَىٰ رَبِّهِ حَمِيدًا شَهِيدًا، وَأَمَّا أَنْ يَحْيَا فِي سَبِيلِ اللهِ؛ فَهَذَا عَنَاءٌ حَقِيقِيٌّ وَمُجَاهَدَةٌ كُبْرَىٰ.

«إِنَّ الْحَيَاةَ فِي سَبِيلِ اللهِ..»: أَنْ تَحْيَا فِي سَبِيلِ اللهِ، لَيْسَ لِنَفْسِكَ مِنْ حَظٍّ، وَلَيْس لِنَفْسِكَ عِنْدَكَ مِنْ طَعْمٍ، لَا تَذُوقُ طَعْمَ نَفْسِكَ، وَإِنَّمَا تَحْيَا للهِ، وَتَحْيَا بِاللهِ، وَتَحْيَا مَعَ اللهِ، وَتَحْيَا لِأَجْلِ دِينِ اللهِ، هَذَا مِنْ أَصْعَبِ مَا يَكُونُ.. «إِنَّ الْحَيَاةَ فِي سَبِيلِ اللهِ أَصْعَبُ مِنَ الْمَوْتِ فِي سَبِيلِ اللهِ».(*).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَة: «أَصْحَابُ التِّجَارِبِ الْفَاشِلَةِ!!» - الْجُمُعَةُ ٢ مِنْ ذِي الْقِعْدَةِ ١٤٣٢هـ| ٣٠-٩-٢٠١١م.

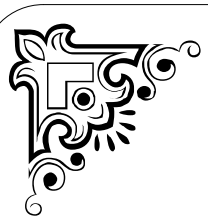

صِدْقُ الْهِمَّةِ وَثَمَرَتُهُ

إِنَّ الْهِمَّةَ مُقَدِّمَةُ الْأَشْيَاءِ، فَمَنْ صَلَحَتْ هِمَّتُهُ، وَصَدَقَ فِيهَا؛ صَلَحَ لَهُ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الْعَمَلِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣].

هَذَا نَعْتُ رِجَالِ الدِّينِ؛ الصِّدْقُ الْكَامِلُ فِيمَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ؛ مِنَ الْقِيَامِ بِدِينِهِ، وَإِنْهَاضِ أَهْلِهِ، وَنَصْرِهِ بِكُلِّ مَا يَقْدِرُونَ عَلَيْهِ؛ مِنْ مَقَالٍ، وَمَالٍ، وَبَدَنٍ، وَظَاهِرٍ وَبَاطِنٍ.

وَمِنْ وَصْفِهِم: الثَّبَاتُ التَّامُّ عَلَىٰ الشَّجَاعَةِ وَالصَّبْرِ، وَالْمُضِيُّ فِي كُلِّ وَسِيلَةٍ بِهَا نَصْرُ الدِّينِ، فَمِنْهُمُ الْبَاذِلُ لِنَفْسِهِ، وَمِنْهُمُ الْبَاذِلُ لِمَالِهِ، وَمِنْهُمُ الْحَاثُّ لِإِخْوَانِهِ عَلَىٰ الْقِيَامِ بِكُلِّ مُسْتَطَاعٍ مِنْ شُؤُونِ الدِّينِ، وَالسَّاعِي بَيْنَهُمْ بِالنَّصِيحَةِ وَالتَّأْلِيفِ وَالِاجْتِمَاعِ، وَمِنْهُمُ الْمُنَشِّطُ بِقَوْلِهِ وَجَاهِهِ وَحَالِهِ، وَمِنْهُمُ الْفَذُّ الْجَامِعُ لِذَلِكَ كُلِّهِ.

فَهَؤُلَاءِ رِجَالُ الدِّينِ وَخِيَارُ الْمُسْلِمِينَ، بِهِمْ قَامَ الدِّينُ وَبِهِ قَامُوا، وَهُمُ الْجِبَالُ الرَّوَاسِي فِي إِيمَانِهِمْ وَصَبْرِهِمْ وَجِهَادِهِمْ، لَا يَرُدُّهُمْ عَنْ هَذَا الْمَطْلَبِ رَادٌّ، وَلَا يَصُدُّهُمْ عَنْ سُلُوكِ سَبِيلِهِ صَادٌّ، تَتَوَالَىٰ عَلَيْهِمُ الْمَصَائِبُ وَالْكَوَارِثُ،

فَيَتَلَقَّوْنَهَا بِقُلُوبٍ ثَابِتَةٍ، وَصُدُورٍ مُنْشَرِحَةٍ؛ لِعِلْمِهِمْ بِمَا يَتَرَتَّبُ عَلَىٰ ذَلِكَ مِنَ الْخَيْرِ وَالثَّوَابِ، وَالْفَلَاحِ وَالنَّجَاحِ(١).(*).

وَهَذَا نَمُوذَجٌ مُضِيءٌ تَجَسَّدَ فِيهِ صِدْقُ الْهِمَّةِ، وَسُمُوُّ الرُّوحِ، وَرِفْعَةُ النَّفْسِ؛ فَعَنْ شَدَّادِ بْنِ الْهَادِ رضي الله عنه -فِيمَا أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ، وَعَبْدُ الرَّزَّاقِ، وَالْحَاكِمُ، وَالْبَيْهَقِيُّ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»، وَغَيْرِهِ-: أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَعْرَابِ جَاءَ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، فَآمَنَ بِهِ وَاتَّبَعَهُ، ثُمَّ قَالَ: أُهَاجِرُ مَعَكَ.

فَأَوْصَىٰ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ بَعْضَ أَصْحَابِهِ، فَلَمَّا كَانَتْ غَزْوَةٌ؛ غَنِمَ النَّبِيُّ ﷺ سَبْيًا، فَقَسَمَهُ وَقَسَمَ لَهُ، فَأَعْطَىٰ أَصْحَابَهُ مَا قَسَمَ لَهُ، وَكَانَ يَرْعَىٰ ظَهْرَهُمْ -كَانَ فِي إِبِلِهِمْ يَرْعَاهَا، فَلَمْ يَكُنْ حَاضِرًا-، فَأَعْطَىٰ أَصْحَابَهُ مَا قَسَمَ لَهُ، فَلَمَّا جَاءَ؛ دَفَعُوهُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: مَا هَذَا؟!!

قَالُوا: قَسْمٌ قَسَمَهُ لَكَ النَّبِيُّ ﷺ، فَأَخَذَهُ فَجَاءَ بِهِ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: مَا هَذَا؟

قَالَ: «**قَسَمْتُهُ لَكَ**».

قَالَ: مَا عَلَىٰ هَذَا اتَّبَعْتُكَ، وَلَكِنِّي اتَّبَعْتُكَ عَلَىٰ أَنْ أُرْمَىٰ إِلَىٰ هَاهُنَا -وَأَشَارَ إِلَىٰ حَلْقِهِ- بِسَهْمٍ، فَأَمُوتَ، فَأَدْخُلَ الجَنَّةَ.

---

(١) «**وُجُوبُ التَّعَاوُنِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ**» لِلسَّعْدِيِّ: (ص ١٢ - ١٣).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ: «شَرْحُ وُجُوبِ التَّعَاوُنِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَمَوْضُوعِ الْجِهَادِ الدِّينِيِّ وَبَيَانِ كُلِّيَّاتٍ مِنْ بَرَاهِينِ الدِّينِ» (الْمُحَاضَرَةُ الْأُولَىٰ)، الْأَحَدُ ٢٧ مِنَ الْمُحَرَّمِ ١٤٣٥هـ| ١-١٢-٢٠١٣م.

فَقَالَ: «**إِنْ تَصْدُقِ اللهَ يَصْدُقْكَ**».

فَلَبِثُوا قَلِيلًا، ثُمَّ نَهَضُوا فِي قِتَالِ الْعَدُوِّ، فَأُتِيَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ يُحْمَلُ، قَدْ أَصَابَهُ سَهْمٌ حَيْثُ أَشَارَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَهُوَ هُوَ؟!!**».

قَالُوا: نَعَمْ.

قَالَ: «**صَدَقَ اللهَ فَصَدَقَهُ اللهُ**».

ثُمَّ كَفَّنَهُ النَّبِيُّ ﷺ فِي جُبَّتِهِ، ثُمَّ قَدَّمَهُ فَصَلَّىٰ عَلَيْهِ، فَكَانَ فِيمَا ظَهَرَ مِنْ صَلَاتِهِ -أَيْ: مِنْ دُعَائِهِ-: «**اللَّهُمَّ إِنَّ هَذَا عَبْدُكَ خَرَجَ مُهَاجِرًا فِي سَبِيلِكَ، فَقُتِلَ شَهِيدًا، أَنَا شَهِيدٌ عَلَىٰ ذَلِكَ**»(١).

خُذْ هَذَا السَّبْيَ، فَقَالَ: مَا عَلَىٰ هَذَا اتَّبَعْتُكَ، لَمْ أَتَّبِعْكَ يَا رَسُولَ اللهِ عَلَىٰ أَنْ أُحَصِّلَ فِي الدُّنْيَا مَغْنَمًا، وَلَا أَنْ أُفِيدَ فِيهَا فَائِدَةً، وَإِنَّمَا اتَّبَعْتُكَ عَلَىٰ أَنْ أُرْمَىٰ بِسَهْمٍ هَاهُنَا، يَخْتَارُ مِيتَةً يُؤْتِيهِ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إِيَّاهَا كَمَا اخْتَارَهَا، وَيُشِيرُ بِأُصْبُعِهِ إِلَىٰ حَلْقِهِ: «أَنْ أُرْمَىٰ بِسَهْمٍ هَاهُنَا -وَأَشَارَ إِلَىٰ حَلْقِهِ-؛ فَأَمُوتَ، فَأَدْخُلَ الجَنَّةَ»، فَوَكَلَهُ اللهُ إِلَىٰ صِدْقِهِ مَعَهُ جَلَّ وَعَلَا، قَالَ: «**إِنْ تَصْدُقِ اللهَ يَصْدُقْكَ**».

فَجِيءَ بِهِ مَحْمُولًا إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَتَأَكَّدَ مِنْهُ: «**أَهُوَ هُوَ؟!!**»

قَالُوا: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ.

السَّهْمُ فِي حَلْقِهِ، فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي أَشَارَ إِلَيْهِ بِأُصْبُعِهِ!! فَقَالَ: «**صَدَقَ اللهَ فَصَدَقَهُ اللهُ**»، ثُمَّ شَهِدَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ بِمَا كَانَ مِنْهُ.

---

(١) أخرجه البخاري في «**الصحيح**»: ٣/ ٢٩١، رقم (١٤٢٢).

هَذِهِ حَقِيقَةُ الدِّينِ، حَقِيقَةُ الْإِخْلَاصِ، حَقِيقَةُ الْعَمَلِ لِخِدْمَةِ دِينِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لَيْسَ هَاهُنَا شَيْءٌ، الْفَائِدَةُ هُنَاكَ، الْأَجْرُ هُنَاكَ، الْمَثُوبَةُ هُنَاكَ، وَأَمَّا هَاهُنَا فِي الدُّنْيَا؛ فَتَعَبٌ وَنَصَبٌ، وَعَنَاءٌ وَبَلَاءٌ، وَأَلَمٌ وَمَشَقَّةٌ، وَاللهُ يَشْرَحُ الصَّدْرَ، وَيُصْلِحُ الْبَالَ، وَيُطَمْئِنُ الْقَلْبَ. وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ، وَعَلَيْهِ التُّكْلَانُ.(*).

إِنَّ مِنْ أَجَلِّ مَيَادِينِ الصِّدْقِ: صِدْقَ الْهِمَمِ فِي بِنَاءِ الْأَوْطَانِ، وَتَحَمُّلَ الْمَسْؤُولِيَّةِ الْمُجْتَمَعِيَّةِ، وَالْمُنَافَسَةَ فِي أَعْمَالِ الْبِرِّ وَالْخَيْرِ؛ مِنْ تَشْيِيدِ الْمَسَاجِدِ وَصِيَانَتِهَا، وَبِنَاءِ الْمَدَارِسِ، وَتَجْهِيزِ الْمُسْتَشْفَيَاتِ، وَعِلَاجِ الْمَرْضَى، فَكُلُّ ذَلِكَ مِنَ الصَّدَقَاتِ الْجَارِيَةِ؛ فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**سَبْعٌ تَجْرِي لِلْعَبْدِ بَعْدِ مَوْتِهِ وَهُوَ فِي قَبْرِهِ: مَنْ عَلَّمَ عِلْمًا، أَوْ كَرَىٰ نَهْرًا، أَوْ حَفَرَ بِئْرًا، أَوْ غَرَسَ نَخْلًا، أَوْ بَنَىٰ مَسْجِدًا، أَوْ وَرَّثَ مُصْحَفًا، أَوْ تَرَكَ وَلَدًا يَسْتَغْفِرُ لَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ**»(٢). رَوَاهُ الْبَزَّارُ، وَأَبُو نُعَيْمٍ فِي «الْحِلْيَةِ»، وَهُوَ حَدِيثٌ حَسَنٌ لِغَيْرِهِ.(*/٢).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَة: «إِنْ تَصْدُقِ اللهَ يَصْدُقْكَ» - الْجُمُعَةُ ٢٧ مِنْ جُمَادَىٰ الْأُولَىٰ ١٤٣٥هـ| ٢٨-٣-٢٠١٤م.

(٢) أخرجه البزار في «**المسند**»: (١٣/ ٤٨٣، رقم ٧٢٨٩)، وابن أبي داود في «**المصاحف**»: (ص٤٦٣)، وابن حبان في «**المجروحين**»: (٢/ ٢٤٧، ترجمة مُحَمَّد بن عبيد الله الْعَرْزَمِي)، وأبو نعيم في «**حلية الأولياء**»: (٢/ ٣٤٣)، والبيهقي في «**شعب الإيمان**»: (٥/ ١٢٢، رقم ٣١٧٥).

والحديث حسنه لغيره الألباني في «**صحيح الترغيب والترهيب**»: (١/ ٥٦٦، رقم ٩٥٩).

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ خُطْبَة: «رَمَضَانُ كَيْفَ نَحْيَاهُ» - الْجُمُعَةُ ١٥ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٣هـ| ٣- ٨- ٢٠١٢م.

«**فَيَا خَادِمَ الْوَطَنِ!**(١) **مَاذَا أَعْدَدْتَ لِلْبِنَاءِ مِنْ حَجَرٍ، أَوْ زِدْتَ فِي الْفِنَاءِ مِنْ شَجَرٍ؟!!**

عَلَيْكَ أَنْ تَبْلُغَ الْجَهْدَ، وَلَيْسَ عَلَيْكَ أَنْ تَبْنِيَ السَّدَّ؛ فَإِنَّمَا الْوَطَنُ كَالْبُنْيَانِ.. فَقِيرٌ إِلَىٰ الرَّأْسِ الْعَاقِلِ، وَالسَّاعِدِ الْعَامِلِ، وَإِلَىٰ الْعَتَبِ الْوَضِيعَةِ، وَالسُّقُوفِ الرَّفِيعَةِ.

وَكَالرَّوْضِ مُحْتَاجٌ إِلَىٰ رَخِيصِ الشَّجَرِ وَثَمِينِهِ، وَنَجِيبِ النَّبَاتِ(٢) وَهَجِينِهِ(٣)؛ إِذْ كَانَ ائْتِلَافُهُ فِي اخْتِلَافِ رَيَاحِينِهِ(٤)»(٥).(*).

إِنَّ دِينَنَا دِينُ الْهِمَّةِ الْعَالِيَةِ وَالْمُسَابَقَةِ فِي الْخَيْرَاتِ؛ فَقَدْ نَدَبَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ إِلَىٰ الْمُسَارَعَةِ، وَتَرْكِ التَّبَاطُؤِ فِي الْخَيْرَاتِ، وَالْمُسَابَقَةِ وَالْمُبَادَرَةِ إِلَىٰ تَحْصِيلِ الْخَيْرَاتِ؛ حَتَّىٰ نَلْقَىٰ جَزَاءَ ذَلِكَ وَثَوَابَهُ فِي الْآخِرَةِ.

---

(١) فيه التفات بديع بليغ؛ لانتقاله من الإخبار إلىٰ الخطاب.

(٢) (النجيب): الكريم الحسيب من الإنسان والحيوان.

(٣) (الهجين): من أبوه خيرٌ من أمه.

(٤) يريد أن كل إنسان مهما ارتفع شأنه أو اتضع مكانه قادر علىٰ خدمة الوطن، بل هو مطالب بتلك الخدمة، فعمد موفقا إلىٰ التشبيه والاستعارة، فقال: إن البناء محتاج إلىٰ العتب الوضيعة والسقوف العالية، وأن الروض لا يتم بهائه وجماله إلا بمختلف الأزاهير والرياحين.

(٥) «**أسواق الذهب**» لأمير الشعراء أحمد شوقي: (ص: ١٦).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ بِتَصَرُّفٍ يَسِيرٍ وَاخْتِصَارٍ مِنْ خُطْبَة: «الْوَطَنِيَّةُ فِي الْإِسْلَامِ» - الْجُمُعَةُ ٤ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٣٩هـ| ٢٠-٤-٢٠١٨م.

يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ [المؤمنون: ٦١]؛ يَعْنِي: يُسَابِقُونَ مَنْ سَابَقَهُمْ إِلَيْهَا، فَهُمْ يَتَسَابَقُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ إِلَىٰ الْخَيْرَاتِ، وَكُلٌّ يَرْجُو أَنْ يَكُونَ إِلَىٰ الْخَيْرَاتِ سَابِقًا.

وَمَعْنَىٰ قَوْلِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ [البقرة: ١٤٨]: حَثٌّ واسْتِعْجَالٌ عَلَىٰ جَمِيعِ الطَّاعَاتِ بِالْعُمُومِ.

الْمُسَارَعَةُ فِي الْخَيْرَاتِ: مُبَادَرَةٌ إِلَىٰ الطَّاعَاتِ، وَسَبْقٌ إِلَيْهَا، وَاسْتِعْجَالٌ فِي أَدَائِهَا، وَعَدَمُ الْإِبْطَاءِ فِيهَا أَوْ تَأْخِيرِهَا.

وَقَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿۞ لَيْسُوا سَوَاءً ۗ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [آل عمران: ١١٣-١١٤].

وَذَكَرَ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مَا كَانَ مِنْ زَكَرِيَّا وَآلِهِ: ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠-٨٩].

وَذَكَرَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مِنْ صِفَاتِ الْمُؤْمِنِينَ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٧-٦١].

وَأَمَرَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِاسْتِبَاقِ الْخَيْرَاتِ: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٤٨].

فِي آيَاتٍ كَثِيرَةٍ أَمَرَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فِيهَا بِالْمُسَارَعَةِ فِي الْخَيْرَاتِ وَالْمُسَابَقَةِ إِلَيْهَا، وَبَيَّنَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أَنَّ التَّوَانِيَ فِي طَلَبِ الْخَيْرِ لَيْسَ بِالْخَيْرِ، وَأَنَّ الْإِسْرَاعَ فِي طَلَبِ الْخَيْرِ هُوَ الْخَيْرُ، وَأَنَّ الْإِنْسَانَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَكُونَ مُسَارِعًا فِي تَحْصِيلِ الْمَغْفِرَةِ بِأَسْبَابِهَا وَشُرُوطِهَا؛ وَإِلَّا كَانَ مِنَ الْمُقَصِّرِينَ.(*).

وَلَقَدْ بَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ قَدْرَ عُلُوِّ الْهِمَّةِ فِي قَوْلِهِ: «إِنَّ اللهَ كَرِيمٌ يُحِبُّ الْكُرَمَاءَ، جَوَادٌ يُحِبُّ الْجَوَدَةَ، يُحِبُّ مَعَالِيَ الْأُمُورِ، وَيَكْرَهُ سَفْسَافَهَا»(٢).

فَاللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ هُوَ الْكَرِيمُ، وَهُوَ الْجَوَادُ، وَيُحِبُّ الْكَرَمَ وَأَهْلَهُ، وَيُحِبُّ الْجُودَ وَأَهْلَهُ، وَيُحِبُّ مَعَالِيَ الْأُمُورِ، وَلَا شَكَّ أَنَّ الْكَرَمَ وَالْجُودَ مِنْ مَعَالِي الْأُمُورِ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ مُحَاضَرَة: «الْمُسَارَعَةُ فِي الْخَيْرَاتِ».

(٢) أخرجه الترمذي في «**الجامع**»: ٥/ ١١١، رقم (٢٧٩٩م)، وابن أبي الدنيا في «**مكارم الأخلاق**» ضمن موسوعة ابن أبي الدنيا الحديثية: ٦/ ٧٠ و٧١، رقم (٨)، وابن عساكر في «**تاريخ دمشق**»: ١٤/ ٢٨٨ و٢٨٩، ترجمة (١٥٨٥) واللفظ له، من حديث: سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنه.

وفي رواية: «**إِنَّ اللهَ كَرِيمٌ يُحِبُّ الْكَرَمَ، جَوَادٌ يُحِبُّ الْجُودَ،...**»، وفي أخرىٰ: «**إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ يُحِبُّ الطَّيِّبَ، نَظِيفٌ يُحِبُّ النَّظَافَةَ، كَرِيمٌ يُحِبُّ الكَرَمَ، جَوَادٌ يُحِبُّ الجُودَ، فَنَظِّفُوا أَفْنِيَتَكُمْ وَلَا تَشَبَّهُوا بِاليَهُودِ**».

قال الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ»، والحديث حسنه الألباني في هامش «**المشكاة**»: ٢/ ١٢٧١ و١٢٧٢، رقم (٤٤٨٧)، وروي أيضا عن سهل بن سعد وجابر والحسن بن علي رضي الله عنهم، وعَنْ طَلْحَةَ بْنِ كَرِيزٍ الْخُزَاعِيِّ مرسلا، بنحوه.

وَيَكْرَهُ اللهُ -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ- السَّفَاسِفَ، وَالْأُمُورَ الْمُسْتَصْغَرَةَ، وَالْأَحْوَالَ الْمُسْتَرْذَلَةَ، يَكْرَهُ اللهُ سَفْسَافَ الْأَخْلاقِ ومُنْحَطَّهَا، وَيُحِبُّ اللهُ -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ- مَعَالِيَ الْأُمُورِ.(*).

يَقُولُ الشَّاعِرُ الْقَدِيمُ(٢):

وَلَمْ أَرَ فِي عُيُوبِ النَّاسِ عَيْبًا كَنَقْصِ الْقَادِرِينَ عَلَىٰ التَّمَامِ

هَذَا الشَّاعِرُ يُقَرِّرُ حَقِيقَةً مِنَ الْحَقَائِقِ الَّتِي لَا يُمَارِي فِيهَا عَاقِلٌ، وَهَذِهِ الْحَقِيقَةُ هِيَ أَنَّ أَكْبَرَ عُيُوبِ الْمَرْءِ: أَنْ يُؤْتِيَهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مِنَ الْأَدَوَاتِ وَالْوَسَائِلِ، وَأَنْ يَمُنَّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَقْدِرَةِ وَالْقُدْرَةِ بِمَا يَسْتَطِيعُ بِهِ أَنْ يَتِمَّ تَمَامُهُ، وَمَعَ ذَلِكَ فَلَا يَتِمُّ!!

وَلَمْ أَرَ فِي عُيُوبِ النَّاسِ عَيْبًا كَنَقْصِ الْقَادِرِينَ عَلَىٰ التَّمَامِ

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَة: «رَمَضَانُ دَعْوَةٌ للجُودِ والكَرَمِ» - الْجُمُعَة ٤ رَمَضَانَ ١٤٢٦هـ - ٧-١٠-٢٠٠٥م.

(٢) البيت من البحر الوافر لشَاعِرِ الزَّمَانِ: أَبِي الطَّيِّبِ أَحْمَدِ بنِ الحُسَيْنِ الكُوْفِيِّ، الشهيرُ بِالْمُتَنَبِّي (المتوفي: ٣٥٤ هـ)، وهو في ديوانه: (ص ٤٨٣)، من قصيدة يصف ما ناله من الحمىٰ بمصر، ويعرض بالرحيل عنها، فيقول في مطلعها:

ملومكمـــا يَجـــل عـــن المـــلام ووقـــع فعالـــه فـــوق الكـــلام

وانظر: شرح معاني شعر المتنبي: (١/ ١٦٣)، و«اللامع العزيزي شرح ديوان المتنبي»: (ص ١٣٢٣).

لِأَنَّ هَذَا إِنَّمَا يَرْجِعُ فِي النِّهَايَةِ إِلَىٰ الْعَجْزِ، وَاللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يُبْغِضُ الْعَجْزَ وَيَكْرَهُهُ؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا آتَاهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ قُدْرَةً عَلَىٰ أَنْ يَكُونَ خَيِّرًا، وَنَافِعًا، وَصَالِحًا، وَمُجْتَهِدًا، وَمُتَعَلِّمًا، وَعَالِمًا، فَفَرَّطَ فِي هَذَا كُلِّهِ، وَرَضِيَ بِالدُّونِ؛ فَهَذِهِ دَلَالَةٌ خَطِيرَةٌ وَقَاطِعَةٌ عَلَىٰ أَنَّ هُنَالِكَ خَلَلًا مَا فِي فِطْرَتِهِ، أَصَابَ هَذِهِ الْفِطْرَةَ هَذَا الْخَلَلُ، فَحَرَفَهَا عَمَّا يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ عَلَيْهِ.(*).

قَالَ الْحَافِظُ الذَّهَبِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي تَرْجَمَةِ الْإِمَامِ الْمُحَدِّثِ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ بْنِ دِينَارٍ الْبَصْرِيِّ، وَهُوَ الْإِمَامُ الْمُحَدِّثُ النَّحْوِيُّ الْحَافِظُ الْقُدْوَةُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ، كَانَ بَارِعًا فِي الْعَرَبِيَّةِ، فَقِيهًا فَصِيحًا مُفَوَّهًا، صَاحِبَ سُنَّةٍ، وَكَانَ عَابِدًا مِنَ الْعُبَّادِ، قَالَ تِلْمِيذُهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ: «لَوْ قِيلَ لِحَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ: إِنَّكَ تَمُوتُ غَدًا؛ مَا قَدَرَ أَنْ يَزِيدَ فِي الْعَمَلِ شَيْئًا!!».

وَهَذَا أَمْرٌ عَجِيبٌ جِدًّا، وَوَصْفٌ هُوَ أَعْجَبُ، «لَوْ قِيلَ لَهُ: إِنَّكَ تَمُوتُ غَدًا؛ مَا قَدَرَ أَنْ يَزِيدَ فِي عَمَلِهِ شَيْئًا».(*/٢).

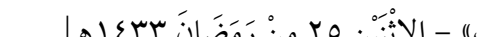

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ مُحَاضَرَة: «عَجْزُ الثِّقَاتِ» - الِاثْنَيْنِ ٢٥ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٣هـ| ١٣-٠٨-٢٠١٢م.

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ سِلْسِلَة: «قِيمَةُ الْوَقْتِ فِي حَيَاةِ الْمُسْلِمِ» (الْمُحَاضَرَةُ الثَّانِيَةُ) - الْجُمُعَةُ ٣ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣١هـ| ١٣-٨-٢٠١٠م.

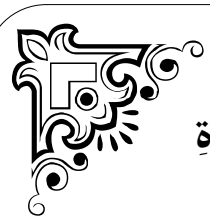

جُمْلَةٌ مِنْ ثَمَرَاتِ الصِّدْقِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ

عِبَادَ اللهِ! إِنَّ لِلصِّدْقِ فَضَائِلَ عَظِيمَةً دُنْيَا وَآخِرَةً؛ وَأَعْظَمُ ثَمَرَاتِ الصِّدْقِ: الْجَنَّةُ؛ فَقَدْ بَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ عِنْدَمَا أَمَرَ بِالصِّدْقِ؛ بَيَّنَ عَاقِبَتَهُ؛ فَقَالَ ﷺ: «**إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَىٰ الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَىٰ الجَنَّةِ**»(١).

فَصَاحِبُ الْبِرِّ يَهْدِيهِ بِرُّهُ إِلَىٰ الْجَنَّةِ، وَالْجَنَّةُ غَايَةُ كُلِّ مَطْلَبٍ.(*).

* **وَمِنْ ثَمَرَاتِ الصِّدْقِ الْعَظِيمَةِ: إِجَابَةُ الدُّعَاءِ، وَرَفْعُ الدَّرَجَاتِ فِي الْجَنَّةِ؛** فَقَدْ أَخْرَجَ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ»(٣) بِسَنَدِهِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «**مَنْ سَأَلَ اللهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ؛ بَلَّغَهُ اللهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ وَإِنْ مَاتَ عَلَىٰ فِرَاشِهِ**».(*/٢).

* **وَمِنْ أَعْظَمِ ثَمَرَاتِ الصِّدْقِ: اقْتِرَانُ الصِّدِّيقِينَ بِالْأَنْبِيَاءِ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ، قَالَ اللهُ** جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾ [النساء:٦٩].

---

(١) تقدم تخريجه

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «لَوْ صَدَقَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُ» - الْجُمُعَةُ ١٠ مِنْ رَجَبٍ ١٤٣٥هـ| ١٤-٢-٢٠١٤م.

(٣) تقدم تخريجه.

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «لَوْ صَدَقَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُ» - الْجُمُعَةُ ١٠ مِنْ رَجَبٍ ١٤٣٥هـ| ١٤-٢-٢٠١٤م.

وَمَنْ يُطِعِ اللهَ دَوَامًا فِي أَدَاءِ الْفَرَائِضِ وَاجْتِنَابِ النَّوَاهِي، وَيُطِعِ الرَّسُولَ فِي السُّنَنِ الَّتِي سَنَّهَا؛ فَأُولَئِكَ الْفُضَلَاءُ ذَوُو الْمَنْزِلَةِ الرَّفِيعَةِ، الْمُطِيعُونَ لِلهِ وَرَسُولِهِ فِي صُحْبَةِ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ بِالْهِدَايَةِ وَالتَّوْفِيقِ فِي الدُّنْيَا، وَبِدُخُولِ الْجَنَّةِ فِي الْآخِرَةِ فِي مَنَازِلِ الْفِرْدَوْسِ الْأَعْلَىٰ؛ مِنَ النَّبِيِّينَ الَّذِينَ أَنْبَأَهُمُ اللهُ وَاخْتَارَهُمْ لِيُخْبِرُوا عَنْهُ -سُبْحَانَهُ- وَيُبَلِّغُوا شَرْعَهُ.

وَمَعَ كَثِيرِي الصِّدْقِ فِي إِيمَانِهِمْ وَأَقْوَالِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ مِنْ أَتْبَاعِ الرُّسُلِ الَّذِينَ صَدَّقُوا بِكُلِّ الدِّينِ.

وَالشُّهَدَاءِ الَّذِينَ شَهِدُوا الْحَقَّ وَعَلِمُوهُ كَعِلْمِ الْمُعَايَنَةِ وَالْمُشَاهَدَةِ، وَاسْتُشْهِدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ، وَبَذَلُوا أَرْوَاحَهُمْ لِإِعْلَاءِ كَلِمَةِ اللهِ.

وَالصَّالِحِينَ الَّذِينَ صَلَحَتْ أَحْوَالُهُمْ وَحَسُنَتْ أَعْمَالُهُمْ، وَنِعْمَتِ الصُّحْبَةُ صُحْبَةُ الَّذِينَ ذَكَرَهُمُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ فِي مَنَازِلِ الْفِرْدَوْسِ الْأَعْلَىٰ مِنْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ.(*).

* **وَمِنْ ثَمَرَاتِ الصِّدْقِ: أَنَّ الصَّادِقَ مِنْ أَفْضَلِ النَّاسِ؛ فَفِي «صَحِيحِ سُنَنِ ابْنِ مَاجَهْ»(٢) عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو** رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: قِيلَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: مَنْ أَفْضَلُ النَّاسِ؟

فَقَالَ ﷺ: «**كُلُّ مَخْمُومِ الْقَلْبِ صَدُوقِ اللِّسَانِ**»؛ كُلُّ مَخْمُومِ الْقَلْبِ صَدُوقِ اللِّسَانِ.. هَذَا أَفْضَلُ النَّاسِ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَة: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» - [النساء: ٦٩].

(٢) «صحيح سنن ابن ماجه» للألباني (٣/ ٣٧٣، رقم ٣٤١٦).

فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ؛ صَدُوقُ اللِّسَانِ عَرَفْنَاهُ؛ فَمَا مَخْمُومُ الْقَلْبِ؟

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**هُوَ التَّقِيُّ النَّقِيُّ الَّذِي لَا إِثْمَ فِيهِ، وَلَا بَغْيَ، وَلَا غِلَّ فِيهِ، وَلَا حَسَدَ**»(١).

فَأَفْضَلُ الْأَعْمَالِ عِنْدَ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَفْضَلُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللهِ جَلَّوَعَلَا: سَلَامَةُ الصَّدْرِ، وَمَنْ كَانَ عَنِ الْغِلِّ وَالْحَسَدِ مُنَزَّهًا، وَمِنْ ذَلِكَ مُبَرَّءًا.

فَهَذَا حَدِيثٌ ثَابِتٌ عَنْ نَبِيِّكُمْ ﷺ يُوَضِّحُ أَفْضَلَ النَّاسِ عِنْدَ اللهِ، وَأَكْرَمَ النَّاسِ فِي مِيزَانِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ؛ مَنْ هَذَّبَ النَّفْسَ وَصَفَّاهَا، وَرَقَّقَ الْقَلْبَ وَأَعْلَاهُ عَلَىٰ مَنْهَجِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ كِتَابًا وَسُنَّةً، وَأَمَّا مَنْ دَسَّاهَا فَقَدْ خَابَ، كَمَا قَرَّرَ رَبُّنَا جَلَّوَعَلَا فِي كِتَابِهِ الْعَظِيمِ.(*).

الصِّدْقُ يَجْلِبُ الْبَرَكَةَ وَرَاحَةَ الْبَالِ فِي الدُّنْيَا، وَالنَّجَاةَ فِي الْآخِرَةِ؛ فَقَدْ أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ فِي «صَحِيحَيْهِمَا»(٣) عَنْ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الْبَيِّعَانِ** -يَعْنِي: الْبَائِعَ وَالْمُشْتَرِيَ- **بِالْخِيَارِ** -هُوَ خِيَارُ الْمَجْلِسِ- **مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا، فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَا؛ بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا، وَإِنْ كَتَمَا وَكَذَبَا؛ مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا**».

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٢١٦)، وصحح إسناده الألباني -أيضًا- في «الصحيحة» (٩٤٨)، وفي «صحيح الترغيب والترهيب» (٢٨٨٩).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ خُطْبَةٍ: «مَا صَحَّ فِي لَيْلَةِ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ» - الْجُمُعَةُ ١٠ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٢٥هـ| ٢٤-٩-٢٠٠٤م.

(٣) أخرجه البخاري: (٤/ ٣٠٩، رقم ٢٠٧٩)، ومسلم: (٣/ ١١٦٤، رقم ١٥٣٢).

لَا يَتَحَصَّلُ الْمَرْءُ عَلَىٰ الْبَرَكَةِ فِي الْحَيَاةِ إِلَّا مَعَ الصِّدْقِ، وَالْكَذِبُ يَمْحَقُ الْبَرَكَةَ فِي الْحَيَاةِ.(*).

وَقَالَ -تَعَالَىٰ-: ﴿هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [المائدة: ١١٩].(*/٢).

قَالَ اللهُ -تَعَالَىٰ- يَوْمَ الْقِيَامَةِ: هَذَا يَوْمُ الْجَزَاءِ الَّذِي يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ -فِي إِيمَانِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ وَأَقْوَالِهِمْ فِي الدُّنْيَا- صِدْقُهُمْ فِي الْآخِرَةِ.

لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِ قُصُورِهَا وَأَشْجَارِهَا الْأَنْهَارُ، خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ بِطَاعَتِهِمْ لَهُ وَقَبُولِ حَسَنَاتِهِمْ، وَرَضُوا عَنْهُ بِمَا أَعْطَاهُمْ مِنْ ثَوَابٍ عَظِيمٍ وَرِضْوَانٍ كَبِيرٍ، ذَلِكَ الْجَزَاءُ وَالرِّضَا مِنْهُ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ.(*/٣).

*** وَمِنْ ثَمَرَاتِ الصِّدْقِ الْجَلِيلَةِ؛ أَنَّهُ سَبَبُ تَفْرِيجِ الْكُرُبَاتِ وَالنَّجَاةِ فِي الْمُلِمَّاتِ فِي الدُّنْيَا؛** فَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**بَيْنَمَا ثَلَاثَةُ نَفَرٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ يَمْشُونَ إِذْ أَصَابَهُمْ مَطَرٌ فَأَوَوْا إِلَىٰ غَارٍ فَانْطَبَقَ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: إِنَّهُ وَاللهِ يَا هَؤُلَاءِ لَا يُنْجِيكُمْ إِلَّا الصِّدْقُ، فَلْيَدْعُ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بِمَا يَعْلَمُ أَنَّهُ قَدْ صَدَقَ فِيهِ.**

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَة: «أَصْحَابُ التِّجَارِبِ الْفَاشِلَةِ!!» - الْجُمُعَةُ ٢ مِنْ ذِي الْقِعْدَةِ ١٤٣٢هـ| ٣٠-٩-٢٠١١م.

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «مَا أَحْوَجَنَا إِلَىٰ الصِّدْقِ» - الْجُمُعَةُ ٢٠ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ١٤٣٤هـ| ٢٥-١٠-٢٠١٣م.

(*/ ٣) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَة: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ»- [المائدة: ١١٩].

فَقَالَ وَاحِدٌ مِنْهُمُ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ لِي أَجِيرٌ عَمِلَ لِي عَلَىٰ فَرَقٍ مِنْ أَرُزٍّ، فَذَهَبَ وَتَرَكَهُ، وَأَنِّي عَمَدْتُ إِلَىٰ ذَلِكَ الْفَرَقِ فَزَرَعْتُهُ فَصَارَ مِنْ أَمْرِهِ أَنِّي اشْتَرَيْتُ مِنْهُ بَقَرًا، وَأَنَّهُ أَتَانِي يَطْلُبُ أَجْرَهُ، فَقُلْتُ لَهُ: اعْمِدْ إِلَىٰ تِلْكَ الْبَقَرِ فَسُقْهَا.

فَقَالَ لِي: إِنَّمَا لِي عِنْدَكَ فَرَقٌ مِنْ أَرُزٍّ!

فَقُلْتُ لَهُ: اعْمِدْ إِلَىٰ تِلْكَ الْبَقَرِ فَإِنَّهَا مِنْ ذَلِكَ الْفَرَقِ.. فَسَاقَهَا، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ مِنْ خَشْيَتِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا! فَانْسَاحَتْ عَنْهُمُ الصَّخْرَةُ.

فَقَالَ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ، وَكُنْتُ آتِيهِمَا كُلَّ لَيْلَةٍ بِلَبَنِ غَنَمٍ لِي، فَأَبْطَأْتُ عَلَيْهِمَا لَيْلَةً فَجِئْتُ وَقَدْ رَقَدَا، وَأَهْلِي وَعِيَالِي يَتَضَاغَوْنَ مِنَ الْجُوعِ، وَكُنْتُ لَا أَسْقِيهِمْ حَتَّىٰ يَشْرَبَ أَبَوَايَ، فَكَرِهْتُ أَنْ أُوقِظَهُمَا، وَكَرِهْتُ أَنْ أَدَعَهُمَا فَيَسْتَكِنَّا لِشَرْبَتِهِمَا، فَلَمْ أَزَلْ أَنْتَظِرُ حَتَّىٰ طَلَعَ الْفَجْرُ، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ مِنْ خَشْيَتِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا! فَانْسَاحَتْ عَنْهُمُ الصَّخْرَةُ حَتَّىٰ نَظَرُوا إِلَىٰ السَّمَاءِ.

فَقَالَ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ لِي ابْنَةُ عَمٍّ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَأَنِّي رَاوَدْتُهَا عَنْ نَفْسِهَا فَأَبَتْ إِلَّا أَنْ آتِيَهَا بِمِائَةِ دِينَارٍ، فَطَلَبْتُهَا حَتَّىٰ قَدَرْتُ، فَأَتَيْتُهَا بِهَا فَدَفَعْتُهَا إِلَيْهَا، فَأَمْكَنَتْنِي مِنْ نَفْسِهَا، فَلَمَّا قَعَدْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا قَالَتْ: اتَّقِ اللهَ وَلَا تَفُضَّ الْخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ! فَقُمْتُ وَتَرَكْتُ الْمِائَةَ دِينَارٍ، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ مِنْ خَشْيَتِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا! فَفَرَّجَ اللهُ عَنْهُمْ، فَخَرَجُوا». أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ -وَاللَّفْظُ لَهُ- وَمُسْلِمٌ(١).

---

(١) أخرجه البخاري: (٦/ ٥٠٦، رقم ٣٤٦٥)، ومسلم: (٤/ ٢٠٩٩، رقم ٢٧٤٣).

«**وَاللهِ يَا هَؤُلَاءِ لَا يُنْجِيكُمْ إِلَّا الصِّدْقُ..**».(*).

وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ دَلَالَةٌ عَلَىٰ عِظَمِ الصِّدْقِ عِنْدَ اللهِ ﷻ، وَعَلَىٰ أَنَّ الْأَعْمَالَ لَيْسَتْ بِكَثْرَتِهَا؛ وَإِنَّمَا بِالصِّدْقِ وَالْإِخْلَاصِ فِيهَا، بِتَخْلِيصِهَا مِنَ الشَّوَائِبِ وَمِمَّا يُحْبِطُهَا.

فَمَهْمَا حَاوَلَ الْإِنْسَانُ أَنْ يَتَقَرَّبَ إِلَىٰ اللهِ بِعَمَلٍ لَمْ يَصْدُقْ فِيهِ، وَلَمْ يَكُنْ فِيهِ لِلهِ مُخْلِصًا؛ فَإِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يُحْبِطُ عَمَلَهُ، وَيَرُدُّهُ عَلَيْهِ، وَإِنْ كَانَ مُشْرِكًا فِيهِ عَذَّبَهُ عَلَيْهِ.(*/٢).

وَمِنْ ثَمَرَاتِ الصِّدْقِ: طُمَأْنِينَةُ النَّفْسِ، وَرَاحَةُ الْقَلْبِ، وَسُكُونُ الرُّوحِ وَالضَّمِيرِ؛ قال ﷺ: «**دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَىٰ مَا لَا يَرِيبُكَ؛ فَإِنَّ الصِّدْقَ طُمَأْنِينَةٌ، وَإِنَّ الْكَذِبَ رِيبَةٌ**»(٣)؛ فَالْخَيْرُ تَطْمَئِنُّ بِهِ الْقُلُوبُ، وَالشَّرُّ تَرْتَابُ بِهِ وَلَا تَطْمَئِنُّ إِلَيْهِ، وَعَلَامَةُ الصِّدْقِ: أَنَّهُ تَطْمَئِنُّ بِهِ الْقُلُوبُ، وَعَلَامَةُ الْكَذِبِ: أَنَّهُ تَحْصُلُ بِهِ الرِّيبَةُ، فَلَا تَسْكُنُ الْقُلُوبُ إِلَيْهِ، بَلْ تَنْفِرُ الْقُلُوبُ مِنْهُ.

الصِّدْقُ مِنْ أَخْلَاقِ الْمُؤْمِنِينَ، وَالْكَذِبُ مِنْ أَخْلَاقِ الْمُنَافِقِينَ الْفَاجِرِينَ؛ فَعَلَىٰ الْمَرْءِ أَنْ يَتَحَرَّىٰ الصِّدْقَ، وَأَنْ يَجْتَهِدَ فِي طَلَبِهِ، وَأَنْ يَلْزَمَهُ حَتَّىٰ يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ بِتَصَرُّفٍ يَسِيرٍ مِنْ خُطْبَةِ: «مَا أَحْوَجَنَا إِلَىٰ الصِّدْقِ» - الْجُمُعَةُ ٢٠ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ١٤٣٤هـ| ٢٥-١٠-٢٠١٣م.

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «إِنْ تَصْدُقِ اللهَ يَصْدُقْكَ» - الْجُمُعَةُ ٢٧ مِنْ جُمَادَىٰ الْأُولَىٰ ١٤٣٥هـ| ٢٨-٣-٢٠١٤م.

(٣) تقدم تخريجه.

وَيَنْبَغِي أَلَّا يُتَهَاوَنَ فِي أَمْرِ الْكَذِبِ؛ فَإِنَّ الْمُؤْمِنَ لَا يَكْذِبُ، قَدْ يَقَعُ فِي أُمُورٍ؛ وَلَكِنَّهُ لَا يَكْذِبُ.

فَعَلَيْنَا أَنْ نَجْتَهِدَ فِي هَذَا، وَعَلَيْنَا أَنْ نَثْبُتَ؛ حَتَّىٰ لَا يَسْتَفِزَّنَا كَذِبُ الْكَاذِبِينَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ -إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللهُ- يَكْذِبُونَ، فَلَا نُقَابِلُ كَذِبًا بِكَذِبٍ؛ فَإِنَّ هَذَا لَا يَجُوزُ؛ بَلْ نَدْفَعُ كَذِبَهُمْ بِالصِّدْقِ، نَتَحَرَّاهُ، وَنَثْبُتُ عَلَيْهِ، وَلَا نُفَارِقُهُ، وَلَا نُبَالِي بِكَذِبِ الْكَاذِبِينَ؛ فَـ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس: ٨١]، أَمَّا أَنْ نُقَابِلَ كَذِبًا بِكَذِبٍ؛ فَهَذَا لَا يَرْضَاهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ.

وَاعْلَمْ أَنَّكَ مَا عَاقَبْتَ مَنْ عَصَىٰ اللهَ فِيكَ بِمِثْلِ أَنْ تُطِيعَ اللهَ فِيهِ.(*).

مِنْ هَذَا تَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يُنَجِّيكَ إِلَّا الصِّدْقُ، وَأَنَّ مَخْرَجَ هَذِهِ الْأُمَّةِ مِمَّا تَوَرَّطَتْ فِيهِ: صِدْقُهَا؛ صِدْقُهَا مَعَ رَبِّهَا، صِدْقُهَا مَعَ أَنْفُسِهَا، صِدْقُهَا مَعَ النَّاسِ، صِدْقُهَا مَعَ الْعَالَمِ.

نَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنَا مِنَ الصَّادِقِينَ أَجْمَعِينَ، وَأَنْ يُقِيمَنَا فِي مَقَامِ الصِّدْقِ عِنْدَهُ، إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ.

وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ.(*/٢).

❀❀❀

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ بِتَصَرُّفٍ يَسِيرٍ وَاخْتِصَارٍ مِنْ: «شَرْحُ الْأَرْبَعِينَ النَّوَوِيَّةِ» (الْحَدِيثُ ١١: دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَىٰ مَا لَا يَرِيبُكَ) - الثُّلَاثَاءُ ٢٢ مِنَ الْمُحَرَّمِ ١٤٣٥هـ| ٢٦-١١-٢٠١٣م.

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «مَا أَحْوَجَنَا إِلَىٰ الصِّدْقِ» - الْجُمُعَةُ ٢٠ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ١٤٣٤هـ| ٢٥-١٠-٢٠١٣م.

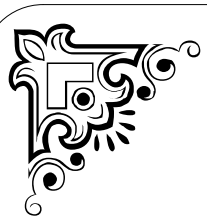

الفِهْرِسُ

الْمُقَدِّمَةُ ٣

الصِّدْقُ مِنْ صِفَاتِ الْمُؤْمِنِينَ ٤

مَعْنَىٰ الصِّدْقِ ٦

الصِّدْقُ فِي الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ ٨

الصِّدْقُ مَنْجَاةٌ ١١

الصِّدْقُ طَرِيقُ الْجَنَّةِ ١٢

الصِّدْقُ طُمَأْنِينَةٌ وَالْكَذِبُ رِيبَةٌ ١٦

الصِّدْقُ مِنْ دَعَائِمِ دَعْوَةِ الرَّسُولِ ﷺ ١٧

مَنْزِلَةُ الصِّدْقِ عِنْدَ اللهِ ١٩

صِدْقُ الْهِمَّةِ وَثَمَرَتُهُ ٢١

جُمْلَةٌ مِنْ ثَمَرَاتِ الصِّدْقِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ٣٠

الْفِهْرِسُ ٣٧